دور طلبة الإعدادية المركزية في بغداد بالحركة الوطنية ١٩٣٩-١٩٥٨

م. د. غصون مزهر حسين*

الملخص :

تحظى معاهد التعليم المتميزة في العالم المتحضر بكثير من التقدير والإحترام والرعاية من قبل جميع فئات المجتمع ؛ وعلى المستويين الرسمي والشعبي. فالذين يلتحقون بها ويتخرجون فيها يشعرون بالزهو والفخر طوال حياتهم ، والمدرسة الاعدادية المركزية هي من هذا الطراز من المدارس المتميزة التي لايمكن للخريج ان يتناساها. فقد كانت مدرسة رسمية نموذجية بكل ما يعنيه هذا الوصف. كما عرفت بتميز أساتذتها علميا وبدماثة أخلاقهم وعشقهم للعمل. وبرصانة مناهجها التربوية والتعليمية وتقدمها ؛ وحنكة وإلتزام أدارتها ؛ وإحكام نظامها الاداري وجدية طلابها وحبهم للتعلم والتفوق والتعاون.

والمدرسة الإعدادية المركزية كانت بمثابة النجم القطبي الذي يشير الى نظام التعليم العام والى المدارس والمعاهد الأخرى التي أنشئت منذ اواخر العهد العثماني وحتى الحكم الوطني الذي وضعت لبناته الأولى عام ١٩٢١ ، فقد تم إفتتاح المدارس العمومية والرشدية بنوعيها الملكي والعسكري وكذلك دور المعلمين ؛ توالى إفتتاح المدارس الثانوية منذ عام ١٩١٩ ؛ ومن بينها المدرسة (الثانوية) التي تحولت الى مدرسة (ألاعدادية المركزية للبنين) عام ١٩٣٨.

لذا تناول بحثنا هذا أولا التطور التاريخي للاعدادية المركزية واهمية كونها من المدارس الرائدة والاولى في العراق خلال سنوات بناء الدولة العراقية منذ عام ١٩٢١،بينما تحدث المبحث الثاني عن دور طلبة الاعدادية المركزية في النشاط السياسي في العراق خلال الفترة موضوع البحث ،وكيفية اتساع الدور الوطني لهؤلاء الطلبة خلال حقبة زاخرة بالاحداث المهمة .

Abstract:

* **مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية** ، Dr.ghsoon_mezher@yahoo.com

www.uomustansiriyah.edu.iq ،

Distinguished educational institutions in the civilized world are highly valued, respected and cared for by all groups of society; at the formal and popular levels. Those who attend and graduate there feel pride and pride throughout their lives, and the middle school is one of the kind of outstanding schools that the graduate can not match. It was a typical public school with all that this description meant. It was also known for the excellence of its professors scientifically and the maturity of their morals and their love for work. And the complexity of its administrative system and the seriousness of its students and their love for learning, excellence and cooperation.

The Central Preparatory School was the polar star that refers to the general education system and to the schools and other institutes established since the end of the Ottoman era and until the national rule which was established for its first daughters in ١٩٢١. The public schools were opened in both royal and military schools as well as the role of teachers; Since ١٩١٩, including the secondary school which became the Central Boys' School in .١٩٣٨

Therefore, we discussed first the historical development of the Central Preparatory and the importance of being one of the leading schools and the first in Iraq during the years of building the Iraqi state since ١٩٢١, while the second topic about the role of middle school students in the political activity in Iraq during the period under discussion, Students during an era of major events.

المقدمة :

تحظى معاهد التعليم المتميزة في العالم المتحضر بكثير من التقدير والإحترام والرعاية من قبل جميع فئات المجتمع ؛ وعلى المستويين الرسمي والشعبي. فالذين يلتحقون بها ويتخرجون فيها يشعرون بالزهو والفخر طوال حياتهم ،ومدرسة الاعدادية المركزية هي من هذا الطراز من المدارس المتميزة التي لايمكن للخريج ان يتناساها. فقد كانت مدرسة رسمية نموذجية بكل ما يعنيه هذا الوصف. كما عرفت بتميز أساتذتها علميا وبدماثة أخلاقهم وعشقهم للعمل .وبرصانة مناهجها التربوية والتعليمية وتقدمها ؛ وحنكة وإلتزام أدارتها ؛ وإحكام نظامها الاداري وجدية طلابها وحبهم للتعلم والتفوق والتعاون.

ومدرسة الإعدادية المركزية كانت بمثابة النجم القطبي الذي يشير الى نظام التعليم العام والى المدارس والمعاهد الأخرى التي أنشئت منذ اواخر العهد العثماني وحتى الحكم الوطني الذي وضعت لبناته الأولى عام ١٩٢١ ، فقد تم إفتتاح المدارس العمومية والرشدية بنوعيها الملكي والعسكري وكذلك دور المعلمين ؛ توالى إفتتاح المدارس الثانوية منذ عام ١٩١٩ ؛ ومن بينها المدرسة (الثانوية) التي تحولت الى مدرسة (ألاعدادية المركزية للبنين) عام ١٩٣٨.

لذا تناول بحثنا هذا أولا التطور التاريخي للاعدادية المركزية واهمية كونها من المدارس الرائدة والاولى في العراق خلال سنوات بناء الدولة العراقية منذ عام ١٩٢١،بينما تحدث المبحث الثاني عن دور طلبة الاعدادية المركزية في النشاط السياسي في العراق خلال الفترة موضوع البحث ،وكيفية اتساع الدور الوطني لهؤلاء الطلبة خلال حقبة زاخرة بالاحداث المهمة .

المبحث الاول

التطور التاريخي الاعدادية المركزية

أنَّ واقع التعليم قد أخذ بالتغير والتطور نحو الأحسن بعد قيام الحكم الملكي، بموجب قرارات مؤتمر القاهرة الذي عقد خلال المدة من ١٢-٢٣ آذار ١٩٢١، والذي تقرر فيه ترشيح الأمير فيصل ملكاً للعراق. [١] وتم التتويج في حفل اقيم في ساحة (برج الساعة) في القشلة ببغداد يوم ٢٣ اب ١٩٢١. حيث حضر هذا الحفل الموظفون المدنيون والعسكريون وشيوخ القبائل ورؤساء مختلف الطوائف الدينية ووجهاء البلد. وقد القى الملك بهذه المناسبة خطابا، تعهد فيه بأن يستعيد العراق مجده الغابر ومنزلته الرفيعة بين الامم.[٢]

وبعد حفل التتويج قدم عبد الرحمن النقيب استقالة وزارته الاولى في ٢٣ اب ١٩٢١، إلاَّ أَنَّ الملك فيصل الأول كلفه بتشكيل وزارته الثانية، فتشكلت الوزارة النقيبية الثانية، يوم ١٢ ايلول ١٩٢١. وفيها اصبحت وزارة المعارف وزارة مستقلة عن الصحة وعهد بمسؤوليتها إلى محمد هبة الدين

الشهرستاني. في يوم ٢٧ ايلول ١٩٢١ وعين معه المستشار البريطاني (المستر نورتون) ، ليكون الموجه الحقيقي لوزارة المعارف. وبعد رحيله تولى وظيفة المستشار ناظر المعارف العام المستر (ليونيل سمث).[٣]

نشرت وزارة المعارف منهاجها الجديد الذي حاول من خلاله الشهرستاني توجيه التعليم توجيهاً وطنياً قومياً، وعمد إلى تأسيس مجلس للمعارف في بغداد يضم عدداً من ذوي الخبرة والكفاءة في شؤون التعليم من بينهم سليمان فيضي ،الذي سبق له أَنَّ اسس مدرسة اهلية في البصرة ،واقتصر عمل المجلس على تقديم الاستشارات إلى وزارة المعارف وتكثيف الدعوات إلى الاهالي لارسال ابنائهم إلى المدارس وضرورة توسيع الابنية المدرسية.[٤]

إن اهتمام الوزارة بالتعليم ما هو إلاَّ انعكاس لرغبات نظام الحكم الجديد ورغبة الملك فيصل الأول الجادة للنهوض بشؤون التعليم وقناعاته بان ((لا حياة للامة إلاَّ برفع مستواها التعليمي والثقافي)) وهذا ما أكده بإستمرار في لقاءاته بالمختصين في مجال التعليم وفي المؤتمرات التربوية منها على سبيل المثال حينما عقد في عهده اول مؤتمر تربوي في تاريخ العراق يوم ٩ نيسان ١٩٣٢، والقى فيه الملك خطابا قال فيه:

((تأكدوا أَنَّ العمل الذي تقومون به هو أعظم من عمل الملك واعظم من عمل الوزير))، مؤكداً استيعابه لقدسية العمل التربوي ودوره في بناء المجتمع العراقي.[٥]

وهنا لابد من الاشارة إلى أَنَّ قيام الحكم الملكي واهتمامه بالتعليم، رافقه اهتمام شعبي بشؤون التعليم أيضاً، لكونه الدعامة الاساسية التي يمكن أَنَّ يستند اليها الاستقلال الحقيقي للبلاد.

وبذلك تكون مرحلة الحكم الوطني هي البداية الصحيحة والحقيقية لتطوير التعليم وقد انعكس الاهتمام الحكومي والشعبي بشؤون التعليم ايجابياً من خلال الزيادة التي طرأت على عدد الطلاب حينما كان عدد الطلاب في المدارس الابتدائية الرسمية في العراق خلال العام الدراسي ١٩٢٠-١٩٢١ حوالي (٨) الاف طالب، ارتفع هذا الرقم ليصل إلى نحو (١٥) الف طالب خلال العامين (١٩٢١-١٩٢٢) (١٩٢٢-١٩٢٣) ،إن تلك الزيادة انما تعكس الرغبة العامة عند الناس بارسال ابنائهم إلى المدارس وقد أدت الصحف والاحزاب دوراً كبيراً في ذلك.[٦]

شهدت الاعوام اللاحقة لاسيما السنوات ١٩٣٣-١٩٣٥ تقدماً وتطوراً في عدد المدارس والطلاب ، كان واقع التعليم دائم التغير بتغير الوزارات ومناهجها. فمنذ الوزارة الاولى التي تشكلت في نهاية عام ١٩٢٠ وانتهاء بالوزارة السعيدية الثالثة التي تشكلت ٢٥ كانون الاول ١٩٣٨ إلى يوم ٦ نيسان ١٩٣٩ ، بقي واقع التعليم اسيراً لمخلفات الاحتلال والانتداب وعانا من ازمات كثيرة قدر لها أَنَّ تكون مزمنة حتى مراحل تطوره الاخيرة كما ساد الاتجاه العام لدى الكثير من الطلبة أَنَّ

الغرض من الدراسة الحصول على الوظائف الحكومية وحتى أَنَّ لجنة مونرو ، شخصت واشارت إلى ذلك الاتجاه في مسيرة التعليم في العراق.(٧)

ومن خلال استعراض أوضاع التعليم في عهد الاحتلال البريطاني والحكم الوطني، يتبين لنا جملة من الإمور التي يمكن استنتاجها... إن سلطة الاحتلال حاولت الحد من انتشار التعليم الثانوي في العراق، والتركيز على التعليم الابتدائي لاعداد صفوة مختارة من الموظفين (الكتاب فقط) للعمل في دوائر الحكومة ، كما انها أعاقت انتشار التعليم في الريف العراقي لخلق هوة كبيرة بين الريف والمدينة لتقوية النظام العشائري الذي تريده بريطانيا، في حين شجعت المؤسسات التعليمية التبشرية في العراق عامة وفي الموصل بخاصة، كما برز اهمالها المتعمد للتعليم، من خلال تخصيص مالية ضئيلة للمعارف.

أما في الحكم الوطني، فان بوادر اصلاح التعليم الثانوي بدأت تزداد على الرغم من الامكانات المادية المتواضعة وما التطور الذي حصل في عدد المدارس الثانوية إلاَّ دليل على ذلك فضلا عن الدور الكبير للملك فيصل الأول في الاهتمام بالتعليم والعملية التربوية.(٨)

تعد الاعدادية المركزية (المدرسة الثانوية سابقاً) من اقدم المدارس التي أنشئت في بغداد بجانب الرصافة وعلى ضفاف نهر دجلة، وتعد صرحاً حضارياً وموقعاً تراثياً مهماً أما سبب تسميتها بالمركزية فيعود إلى كونها في مركز مدينة بغداد، وهي المدرسة الوحيدة التي كانت تجمع بين الدراسة الاكاديمية والعسكرية .(٩)

يحيط بالمدرسة شواخص حضارية مهمة، من الشمال القلعة (وزارة الدفاع) والقصر العباسي (بيت الحكمة حالياً) وكانت سابقاً مقراً للبرلمان العراقي في العهد الملكي ،ثم أصبحت مكاناً لجلسات محكمة الشعب (محكمة المهداوي) التي تأسست في اعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ومن الجنوب شارع المتنبي والسراي (مقر دواوين الحكومة) ، ومن الشرق باب المعظم شارع الرشيد وساحة الميدان ومن الغرب نهر دجلة.(١٠)

وبالقرب من المدرسة عدد من الجوامع والمساجد والمدارس الدينية من بينها جامع ومدرسة النعمانية مقابل دائرة البريد الذي انشأته الحاجة فاطمة بنت بكتاش بن السيد ولي، والمدرسة السليمانية التي أنشأها أبو سعيد سليمان باشا والي بغداد ١٧٧٩م-١٨٠٢هـ وتقع بين سراي الحكومة (القشلة) وجامع النعمانية. (١١)

ومسجد نجيب السهروردي الذي انشأه أيضاً والي بغداد أبو سعيد سليمان باشا وهو مسجد قديم يقع في جانب (الاعدادية المركزية) من جهتها الخلفية ويقابل المستشفى العسكري وكان المسجد في الاصل مدرسة تدعى مدرسة النجيب (النجيبية) وفيها قبر الشيخ نجيب الدين السهروردي ، كما

يوجد بالقرب منها جامع الاحمدية الشهير في سوق الميدان وجامع مدرسة المرادية (مدرسة نائلة خاتون).[١٢]

وبسبب تلك المعالم الثقافية التي تحيط بالمدرسة، اكتسبت الثانوية (الاعدادية المركزية) أهمية تاريخية وهكذا حين بدأ العام الدراسي ١٩٢٢-١٩٢٣ وبعد أَنَّ استقرت المدرسة في بنايتها الجديدة كلف لادارتها اللواء السابق محمد نظيف الشاوي (قائد الجيش السادس التركي) ، بعد نقل مديرها السابق عاصم الجلبي إلى الموصل، والشاوي واحد من النخب العسكرية التي سرحت من الجيش العثماني واعيرت خدماته إلى المعارف، لعدم وجود شاغر لاستخدامه في الجيش، فعين مديراً للمدرسة الثانوية للأعوام ١٩٢٢-١٩٢٣، ١٩٢٣-١٩٢٤ وكان له أثر في توجيه التدريس في الثانوية وجهة تساهم في تنشئة الطلبة، نشأة وطنية وقومية تلك التوجيهات التي لم تكن ترضي سلطات الاحتلال البريطاني ، إذ ذكرت (المس بيل) في واحدة من مناقشاتها مع (ارنولد ولسن) الحاكم العسكري العام، الذي كان متحفظاً على عودة الضباط العراقيين، الذين عملوا في سوريا إلى العراق، ورفض تعيينهم في مهمات التعليم! فردت عليه (المس بيل) انها ((لا تخشى شيئاً من الجيل الذي ينشأ ما دام البريطانيون في المعارف)).[١٣]

وهذا مما يؤشر على أَنَّ الاحتلال البريطاني للبلاد، كانت له انعكاساته السلبية على مختلف جوانب الحياة العامة في العراق، ومنها السياسة التعليمية عامة والتعليم الثانوي بخاصة.

ولكن عند الانتقال من الاحتلال وسيطرته إلى الحكم الوطني، أخذت المدرسة الثانوية (الاعدادية المركزية) تتغير شيئاً فشيئاً، بفضل اهتمام الملك فيصل الأول، الذي كان معنياً بسير المعارف وضرورة النهوض بواقع التعليم ، وكانت اولى اهتماماته تلك حل المشاكل التي واجهت وزارة المعارف ومنها مشكلة عدم توفر البنايات الصالحة لان تكون مدارس ثانوية، ومنها المدرسة الثانوية، لانها لم تكن بالمستوى المطلوب، لكونها الثانوية الوحيدة في بغداد.[١٤]

وفي ضوء ما جاء في مناهج الوزارات العراقية واهتمامات البلاط الملكي وتوجيهات الملك فيصل الأول قررت وزارة المعارف للعام الدراسي ١٩٢٥-١٩٢٦ توسيع بناية المدرسة الثانوية نتيجة زيادة عدد الطلاب الملتحقين بها، فاصبحت المدرسة بحاجة إلى التوسيعات اللازمة، وشملت تلك التوسيعات الجديدة بانشاء قسم جديد يتألف من اربعة صفوف للدراسة، وغرف اخرى للادارة، وملحقاتها، وكان من المؤمل أَنَّ ينتهي العمل نهاية العام الدراسي المذكور. وفعلاً تم فتح القسم الجديد في المدرسة الثانوية في بداية العام الدراسي ١٩٢٦-١٩٢٧، واصبح مؤلفاً من ثمانية صفوف بعد أَنَّ كان بأربعة صفوف دراسية فقط وغرف اخرى للادارة وثلاث قاعات للمختبرات ، كما اعيد بناء واجهة المدرسة الثانوية في عام ١٩٢٧ وكتب اسم المدرسة على قطعة من الرخام

الازرق، وان من قام بخط اسم المدرسة الثانوية وسنة التشييد الجديد عام ١٩٢٧ هو ساطع الحصري.[١٥]

وعلى الرغم من تغير اسم المدرسة من المدرسة الثانوية إلى الاعدادية المركزية، بعد فصل الدراسة المتوسطة عن الدراسة الاعدادية في عام ١٩٣٨، بقيت تلك الواجهة على حالها دون تغيير وليومنا هذا مع وجود ذلك التاريخ على واجهة المدرسة ، ولهذا ساد الاعتقاد لدى الكثيرين بان المدرسة الثانوية المركزية قد تأسست عام ١٩٢٧، حتى أَنَّ وزارة التربية الحالية ومديرية تربية الرصافة الاولى ومديرية الابنية المدرسية التابعة لوزارة التربية،تذكر ذلك .[١٦]

فضلاً عن ذلك فقد اصبح يرد في العام ١٩٢٧–١٩٢٨، اسم المدرسة في التقارير السنوية لوزارة المعارف وسجلات المدرسة باسم المدرسة الثانوية المركزية تميزاً لها من المدرسة الثانوية الشرقية.

وبقيت المدرسة الثانوية المركزية، المدرسة الوحيدة في العراق، التي تتمتع ببناية جيدة وحديثة على وفق منظور ذلك الوقت استناداً إلى ما ورد في تقرير وزارة المعارف السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٢٨–١٩٢٩، إذ اشار التقرير إلى ضرورة انشاء مدارس تتوفر فيها الشروط الضرورية لضمان نجاح تطور المسيرة التعليمية، وان تلك الشروط لم تكن متوفرة حسبما ورد في ذلك التقرير إلاَّ في الثانوية المركزية في بغداد.[١٧]

ذلك التوسع والتطور الذي حصل في المدرسة الثانوية المركزية، جعلها مقياساً لتطور التعليم الثانوي في العراق وعد بداية تأسيس المدرسة الثانوية هو البداية الحقيقية للتعليم الثانوي وذلك ما أكده التقرير الذي قدمته لجنة (مونرو) حين تولت دراسة واقع التعليم في العراق للمدة بين عامي ١٩١٩–١٩٣٢ باسم لجنة (الكشف التهذيبي)، إذ خصصت الفصل الثامن منه للتعليم المتوسط والثانوي، واول ما أكدته هو انها وجدت أَنَّ عام ١٩١٩، يمكن أَنَّ يكون بداية منطقية ومقبولة لمولد التعليم الثانوي العام في العراق، لان تلك السنة شهدت افتتاح صفوف ثانوية في كل من بغداد والموصل، مدة الدراسة فيها اربع سنوات، تدرس فيها مختلف المواضيع العلمية، والصف الاخير لم يتكون إلاَّ في مدرسة واحدة هي الثانوية المركزية في بغداد.[١٨]

وعلى الرغم تلك التطورات والتوسعات التي شهدتها المدرسة إلاَّ انها لم تكن بمستوى الطموح الذي يتناسب مع التطور الذي اخذت تظهر معالمه خلال ثلاثينيات القرن الماضي وتزايد وتائره اثر زيادة مخصصات وزارة المعارف، نتيجة التحسن الذي حصل في ميزانية الدولة العراقية، حين اخذت واردات النفط توظف للنهوض بمؤسسات الدولة العراقية المختلفة، إذ بقيت المدرسة تعاني من الاهمال وعدم التطوير، حيث أَنَّ مهمة تطويرها تعهدته أما وزارة المعارف أو دائرة الاثار، لكونها من المباني الاثارية القديمة، وظلت مشكلة تطويرها قائمة بين المعارف وتلك الدوائر.[١٩]

ويمكن القول بصورة عامة، انه على الرغم من تلك النواحي السلبية إلاَّ انه ثمة إمور ايجابية توافرت، فالتدريس سار بشكل منتظم في المدرسة إلى درجة لم تعهدها البلاد من قبل، من حيث تطبيق المناهج الدراسية والامتحانات وكيفية التغلب على النواقص في المناهج والملاك لدفع عجلة التقدم العلمي إلى الامام بصورة اكثر نشاطاً وأبعد مدى.

المبحث الثاني : الدور الوطني والقومي لطلبة الاعدادية للفترة ١٩٣٩-١٩٥٨

أدت الحركات الطلابية في العراق بصورة عامة والمدرسة الثانوية بخاصة، دوراً كبيراً في جميع المعارك النضالية التي خاضها الشعب ضد قوى الاحتلال والتسلط الاجنبي وكان لهم دور كبير في توعية الجماهير ورص الصفوف في تلك المعارك الوطنية، وقد مرت الحركة الطلابية بمراحل متعددة من التطور أكسبتها حساً وطنياً وقومياً بعيداً عن النظرة الإقليمية الضيقة.

إن من يعكف على دراسة تاريخ مدرسة (الاعدادية المركزية للبنين) ومسيرتها الطويلة الباهرة لابد وأن يتناول ويتفحص فلسفتها التربوية والتعليمية ومناهجها وخططها الدراسية ونشاطاتها اللآصفية التي تنوعت وتلونت ، وقد عدت أعوام الاربعينيات من ألأعوام المشحونة بالنشاط الوطني الذي إتخذ له صورا متنوعة من الفعاليات من قبل الطلبة والاساتذة. وقد تفهمت إدارة المدرسة طبيعة تلك الاجواء. إذ لا خيار لها في مناهضته ؛ لاسيما وأن الجو السياسي العام في البلد كان يعارض سياسة الحكومة إتجاه علاقتها ببريطانيا.

وقد يظن البعض بان السبب كان يعود الى الكتاب الدراسي او الى المنهج المسطر على الورق فحسب، والواقع فأن تلك النجاحات كانت نتاج وحصيلة عدد من العوامل الرئيسة، يأتي في مقدمتها إستقرار المجتمع المدني وثبات وطهارة العقيدة الدينية والمفاهيم الفكرية والخلقية بين النخبة المثقفة التي كانت تقود مسيرة التقدم في العراق ، ورسوخ روح المواطنة الحقة بين كافة فئات الشعب ، والحفاظ على سيادة القانون ونشر العدل بين المواطنين، ووضوح معالم المستقبل أمام الجميع ، وإنتشار روح الامل بين الجيل الجديد ، كل تلك القيم والمفاهيم الأساسية كانت توفرها المدارس في ذلك الوقت ؛ وبخاصة المدارس الاعدادية والمعاهد والكليات. فكان الطالب أشبه بالعجينة الطرية ساعة يحتضنه ذلك الجو التربوي التعليمي العام الذي تسوده الاخلاق الحميدة والقيم العليا التي تنتقل الى الطالب من خلال المدرس ، والطالب بدوره يسعى نحو تمثل تلك القيم ومحاولة التأثر بالمدرسين لإتخاذهم قدوة ومثالا يحتذى.

عانى العراقيون كثيراً خلال سني الحرب العالمية الثانية ،بسبب الازمة الاقتصادية التي رافقت الحرب الامر الذي سبب ارتفاع الاسعار وفقدان الحاجات الاساسية ،يضاف الى ذلك انعدام

الحريات ، واعلان الاحكام العرفية وأصدرت الانظمة التي قيدت الحريات الشخصية والعامة ،لذا عند انتهاء الحرب كان العراقيون يتطلعون الى الحصول على حياة جديدة ، وقد تطورت الحركة الوطنية بفعل انتشار الوعي السياسي والاذاعات والدعاية التي وعدت الشعب بحياة جديدة عند انتهاء الحرب ،وتوسعت مطالبات الحركة الوطنية بالدعوة الى الاصلاح على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي .[٢٠]

وبحكم هذه العوامل وغيرها ظهر الطلاب كقوة وطنية فاعلة في الشارع العراقي ، وطالبوا بالتنظيم الطلابي لغرض توجيه الحركة الطلابية في المسار الصحيح ، حيث تحسس الطلاب–بمختلف مستويات التعليم – مشاكل العراق وعمل الطلبة على استغلال جميع المناسبات الوطنية والقومية للمشاركة الفاعلة في الاندماج مع الجماهير في المطالبة بحقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .[٢١]

ففي خلال الفترة موضوع البحث شارك الطلبة باغلب الحركات والمظاهرات الجماهيرية التي خرجت للمطالبة بالاصلاح او المطالبة بتحقيق الاستقلال والسيادة المطلقة بعيداً عن سيطرة بريطانيا وغيرها ، و أدت الحركات الطلابية في العراق بصورة عامة والمدرسة الثانوية بخاصة، دوراً كبيراً في جميع المعارك النضالية التي خاضها الشعب ضد قوى الاحتلال والتسلط الاجنبي وكان لهم دور كبير في توعية الجماهير ورص الصفوف في تلك المعارك الوطنية، وقد مرت الحركة الطلابية بمراحل متعددة من التطور أكسبتها حساً وطنياً وقومياً بعيداً عن النظرة الإقليمية الضيقة.

ففي عام ١٩٢٦ ساهم طلاب المدرسة الثانوية في الإضراب العام احتجاجاً على المعاهدة العراقية – البريطانية عام ١٩٢٦ [٢٢]، كما شارك طلبة الاعدادية في الاحتجاجات والتظاهرات التي قامت احتجاجاً على زيارة الداعية الصهيوني (الفريد موند) الى العراق عام ١٩٢٨[٢٣]،واستمرت مشاركة طلبة الاعدادية في اغلب حركات الاحتجاجات او المظاهرات التي كانت تقوم في الشارع العراقي من قبل مختلف الشرائح الاجتماعية ، بأعتبار الطلبة هم الطبقة المثقفة والواعية التي يقع على عاتقها احداث التغيير أو المطالبة به .

وهنا كان من الطبيعي أن يلعب طلبة الاعدادية المركزية دوراً مهماً في حدث بارز ومهم كأحداث وثبة كانون الثاني عام ١٩٤٨ ، والتي امتدت حركة الاحتجاجات والتظاهرات ضدها منذ بداية كانون الثاني والى بداية شهر شباط من عام ١٩٤٨ ،لان مسألة عقد معاهدة بديلة عن معاهدة عام ١٩٣٠ كانت نقطة فاصلة في مسيرة العلاقات العراقية البريطانية ، وخاصة بعد خروج بريطانيا من الحرب العالمية الثانية وقد مرت بدمار واثار الحرب الاقتصادية والاجتماعية مما ولد

لدى سياسيها حاجة ملحة لتعديل شروط اتفاقية عام ١٩٣٠المصلحة بريطانيا ،وترسيخ السيطرة البريطانيا على مقدرات العراق السياسية والاقتصادية ، وجرت مفاوضات سرية في لندن مع الحكومة العراقية لبحث شروط وبنود معاهدة جديدة تحقق المصالح البريطانية اولاً.[٢٤]

وعلى الرغم من المعارضة الشعبية الكبيرة استمرت المفاوضات وانتهت بالتوقيع بالاحرف الاولى في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ على المعاهدة التي سميت معاهدة (بورتسموث) نسبة الى ميناء بورتسموث حيث وقعت[٢٥]، ويمكن القول أن المعاهدة وقعت رداً على المظاهرات التي قام بها الطلبة منذ ٥ كانون الثاني ١٩٤٨ والتي كانت شرارتها تعطيل الدراسة في كلية الحقوق وأغلاق الاقسام الداخلية [٢٦] ،الامر الذي دفع طلبة الاعدادية المركزية الى التوافد على كلية الحقوق والقيام بتظاهرات ضد وزارة المعارف وضد الاتفاقية يساندهم في ذلك جميع طلبة الكليات والمدارس ، وأستمرت هذه المظاهرات الى ان اضطرت الحكومة الى الغاء قرار تعطيل الدوام في كلية الحقوق لتهدئة الاوضاع ، الا أن الازمة تفجرت بعد ارسال وزير الخارجية فاضل الجمالي والذي كان ضمن الوفد المفاوض نص غير مترجم للاتفاقية الى العراق لغرض ترجمته ونشره ، ونُشر نص مترجم للمعاهدة في الصحف العراقية في يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٤٨ [٢٧].

وبفعل ذلك أعلن الطلبة الاضراب العام لمدة ثلاثة ايام اعتباراً من ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٨ وبدات المظاهرات من جديد وشارك طلبة الكليات والمدارس وبالاخص طلبة الاعدادية المركزية التي كان ينظر لها على انها النموذج في الروح الوطنية والوعي السياسي لبقية المدارس الثانوية والاعدادية ، وهكذا تجددت المظاهرات الطلابية واندمجت مع المظاهرات الجماهيرية التي انطلقت في شوارع بغداد لتصبح تظاهرة واحدة مطالبة بالغاء المعاهدة وسقوط حكومة صالح جبر ،وكان لسياسة القوة المسلحة التي استعملتها الشرطة لتفريق المتظاهرين اثار سلبية في ارتفاع وتيرة المظاهرات واستمرارها اشد من السابق [٢٨]، وبلغت ذروة هذه المظاهرات وشدتها في يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨ حيث كانت المظاهرات من القوة الى ان أعتبرتها الشرطة انقلاب داخلي وثورة مسلحة لقلب نظام الحكم وواجهتها باطلاق النار على المتظاهرين وسقوط شهداء بين المتظاهرين من الطلبة مما وسع من حدة المظاهرات والاشتباكات ، الامر الذي دفع الوصي الى الطلب من صالح جبر تقديم استقالته ، كما أذاع الوصي بيان اعرب فيه عن اسفه لهذه الاحداث الاخيرة واعلن قبوله لاستقالة صالح جبر رئيس الوزراء والغاء المعاهدة مع بريطانيا ودعا الشعب الى الهدوء .[٢٩]

وهكذا انتصرت ارادة الجماهير وتحققت بعض مطالب مظاهرات كانون الثاني ١٩٤٨ والتي تعرف بالوثبة لكونها كانت وثبة ثورية بجميع المقاييس ضد تسلط القوى الاستعمارية واساليبها الملتوية لربط مصير العراق ولفترة طويلة بعجلة القوى الغربية (بريطانيا) ، وكان الدور الذي لعبه الطلبة

في هذه الوثبة دوراً اساسيا وفاعلا لكونهم الطليعة المثقفة والواعية التي عليها يقع عبء توعية الجماهير وقيادة نضالها الذي تمخض عن حركة ثورية منظمة وشاملة زعزعت اسس الحكم في تلك الفترة .

وبالاسلوب نفسه شارك طلبة الاعدادية المركزية اخوانهم الطلبة والجماهير في انتفاضة تشرين الاول عام ١٩٥٢ ، والتي لعبت عدة عوامل في اندلاعها منها المطالبات المستمرة بتعديل نظام الانتخابات وتعديل الامتيازات النفطية ذات الشروط المجحفة بحق ثروة الشعب العراقي ، وكانت الشرارة التي ادت الى بداية المظاهرات هو التعديل الذي حاولت كلية الصيدلة والكيمياء ادخاله على النظام الامتحاني باعتبار الطالب راسب بجميع الدروس حتى وان كان راسب بمادة واحدة وذلك في ٢٦ تشرين الاول ١٩٥٢ ،الامر الذي دفع الطلبة الى الاضراب وساندهم طلبة الكليات والمدارس في اضرابهم واستمر حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٢ حيث عدلت الحكومة والوزارة عن التعديل وعاد الطلبة الى مقاعد الدراسة .[٣٠]

الا أن الامر لم ينتهي حيث حدث اعتداء في حرم كلية الصيدلة والكيمياء على بعض الطلبة من قادة الاضراب الامر الذي اعتبره الطلبة اعتداء مدبر ، دفعهم الى الاضراب مرة اخرى في ٢٠تشرين الثاني ١٩٥٢ ، وشجعت الاحزاب السياسية على المظاهرات من قبل الطلبة وغيرهم ، وساهم الطلبة في الاعدادية المركزية في المظاهرات والاضراب بصورة فاعلة ومميزة ،وطالب المتظاهرون بسقوط الحكومة والانتخابات المزيفة والغاء معاهدة ١٩٣٠ الجائرة وذلك في مظاهرات ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، والتي استخدمت الشرطة القوة والاسلحة في تفريق المتظاهرين مما اسفر عن سقوط عدد من الشهداء والجرحى ،وهكذا اضطرت الحكومة الى تقديم استقالتها ، الامر الذي استدعى نزول الجيش الى الشارع لتهدئة الوضع واعلان الاحكام العرفية وفرض حظر للتجوال حيث كلف رئيس اركان الجيش نور الدين محمود بتشكيل الوزارة لفرض الهدوء والنظام .[٣١]

وقد تميزت هذه المظاهرة بقوة وتماسك القوى الوطنية وتفاعل الاحزاب السياسية مع مظاهرات الطلبة ،وكانت المرة الاولى التي ينزل فيها الجيش الى الشارع لتهدئة الوضع والسبب هو انها المرة الاولى التي يرفع فيها شعار تغيير نظام الحكم من ملكي الى جمهوري ورفع شعارات وطنية تطالب بالاصلاح الشامل في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.[٣٢]

أن الحقائق التي اسلفناها سابقاً في الحديث عن دور طلبة الاعدادية المركزية وغيرهم من طلبة الكليات والمعاهد في الحياة السياسية في العراق ومشاركتهم الفاعلة في التصدي لمشاريع استعمارية ومحاولات لاسترقاق الشعب وقتل طموحاته في الحرية والعيش الكريم ، تؤكد بما لايقبل الشك على

الروح الوطنية والطموح القوي لدى الطلبة في تحقيق اهدافهم في الحرية والتقدم والعمل الجاد في سبيل تحقيق ذلك وقيادة نضال الجماهير وتشكيل الطليعة المتقدمة في جميع المظاهرات والانتفاضات .

الخاتمة :

وصفوة القول أصبحت الثانوية المركزية (الإعدادية المركزية) نموذجاً للمدارس المركزية في العراق، وقد بذلت كثيراً من الثانويات جهوداً لغرض الوصول إلى المستوى العالي الذي وصلته الثانوية المركزية، من حيث مستوى التدريس، ونتائج الإمتحانات ونسب المتفوقين فيها...، حتى إن بعض الأبنية المدرسية في الالوية، كانت صورة مصغرة للثانوية المركزية في بغداد، ومما يدعو إلى الإعجاب والتقدير إن هذه المدرسة إستمرت محافظة على مستواها وسمعتها رغم ما لحق بها من نكبات وتحديات، وبقيت تزود البلد بذلك القدر من الخريجين قدر للبعض منهم ان يكونوا في مراكز متقدمة من المسؤولية في مؤسسات البلاد المختلفة.

إكتسب طلبة الثانوية المركزية وعياً وطنياً متدفقاً ومشاعر قومية جياشة تجسدت هذه في مساهماتهم المبكرة في الأنشطة الوطنية، كالتصدي للمعاهدات البريطانية الجائرة على العراق مثل معاهدة ١٩٤٨ التي حاولت بريطانيا عقدها مع العراق بديلا لمعاهدة ١٩٣٠ ،وكذلك التصدي لمحاولات كبت الحرية الشخصية وتحجيم الحياة السياسية في اوساط الشباب .

إن هذا الوعي الوطني المبكر عند الطلبة والتراكمات السياسية المختلفة جعلت هذه الشريحة الواعية مهيأة في المراحل اللاحقة للدخول في معترك التنظيمات والتشكيلات الحزبية، وأصبحوا من المؤسسين ومن الكوادر المتقدمة في الأحزاب القومية والوطنية التي اسست فيما بعد .

الهوامش والمصادر :

١ – عبد المجيد كامل التكريتي ، الملك فيصل الاول ودوره السياسي في تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩٢١-١٩٣٣)،بغداد ،١٩٩١ ،ص ٩.

٢ – مجيد خدوري ، نظام الحكم في العراق ، ترجمة نجم الدين الاطرقجي ،بغداد ،١٩٤٦،ص١٠ ؛ عبد الرزاق الحسني ،تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي،الجزء الاول ، الطبعة الخامسة ، بغداد ،١٩٧٨ ،ص ص٥٩-٦٧ .

٣ – عبد الرزاق الحسني ،تاريخ الوزارات ،ج ١ ،ص ص٦٨-٧٤ .

٤ – ابراهيم خليل أحمد ، تطور التعليم في العراق (١٨٦٩– ١٩٣٢)،جامعة البصرة ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٢ ،ص ١٢٣.

٥ – خنساء زكي شمس الدين ، الاعدادية المركزية للبنين (١٩١٩–١٩٣٩) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات،٢٠١١،ص ص ٢٨ – ٢٩ .

٦ – ساطع الحصري ، مذكراتي في العراق (١٩٢١–١٩٤١)، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٧ ،ج ١ ، ص ٢٤٥ .

٧ – ابراهيم خليل احمد ، المصدر نفسه ، ص ٣٢١ .

٨ – عبد المجيد كامل التكريتي ، المصدر نفسه ، ص ص ٢٧٦– ٢٨١ .

٩ – مكتبة الاعدادية المركزية ، سجل خاص بتاريخ الاعدادية تم اعداده بعد تعرض سجلات المدرسة الى الحرق والتلف بعد أحداث عام ٢٠٠٣.

١٠ – عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني(١٩١٤ – ١٩٢١) ،بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٧٥، ص ٧٠ .

١١ – دار الكتب والوثائق الوطنية ، مجلة الموروث ، العدد ٥٧ ، تشرين الثاني ،٢٠١٢.

١٢ – بشير فرنسيس ، بغداد وتاريخها وأثارها ، بغداد ، ١٩٥٩ ،ص ٢٠ .

١٣ – حازم مجيد الدوري ، دور النخبة العسكرية العراقية في تطور الفكر القومي (١٩٠٨– ١٩٤١)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي ،بغداد ،٢٠٠٣، ص ٥٠ .

١٤ –عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في عهد الانتداب (١٩٢١–١٩٣٢)، بغداد،٢٠٠٢ ، ص ٥٠.

١٥ – خنساء زكي شمس الدين ،المصدر نفسه ،ص ص ٤٨– ٤٩ .

١٦ – المصدر السابق ، ص ٤٩.

١٧ – التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة (١٩٢٨–١٩٢٩) ،بغداد ، ١٩٣٠، ص ٥٦.

١٨ – خنساء زكي شمس الدين ،المصدر نفسه ،ص ٥١.

١٩ – المصدر السابق ، ص ٥٦.

٢٠ – جعفر عباس حميدي ، تاريخ العراق المعاصر(١٩١٤– ١٩٦٨)،دار ومكتبة عدنان، بغداد ، ٢٠١٥ ،ص ص ١٨٤– ١٨٦ .

٢١ – المصدر السابق ، ص ١٨٦.

٢٢ – عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج ٢،ص ص ٢٩ – ٥٦ .

٢٣ – المصدر السابق ، ص ص ١٥٦ – ١٦٠ .

٢٤ – جعفر عباس حميدي ، المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

٢٥ – عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج ٧، ص ص ٢١٦– ٢١٩ .

٢٦ – المصدر السابق ، ص ص ٢٣٥–٢٣٦ .

٢٧ – المصدر السابق ، ص ص ٢٣٧– ٢٤٧ .

٢٨ – جعفر عباس حميدي ، المصدر نفسه ، ص ص ٢١٣– ٢١٥ .

٢٩ – عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج ٧، ص ص ٢٦٠– ٢٦٧ .

٣٠ –جعفر عباس حميدي ، المصدر نفسه ، ص ص ٢٢٦– ٢٢٧ ؛ مأمون أمين زكي ، ازدهار العراق تحت الحكم الملكي (١٩٢١–١٩٥٨)، دار الحكمة ، لندن ،٢٠١٣ ، ص ١٩١ .

٣١ – جعفر عباس حميدي ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ ؛ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج ٨، ص ص ٣٢٨– ٣٣٧ .

٣٢ – عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج ٨، ص ص ٣٣٧– ٣٤٩ .